

دراسة أنثروبولوجية اثنوجرافية لعادات وتقاليده الزواج عند الغجر الأسبان

An anthropological study of customs and traditions of marriage Spanish Gypsies: Ethnographic approach

بن سهلة ثاني سيدي محمد	مصطفى حنان
جامعة تلمسان (الجزائر)	جامعة تلمسان (الجزائر)
sidimohammed.bensahlatani@univ-tlemcen.dz	hanane.mostefa@univ-tlemcen.dz

تاريخ القبول: 16./04./2022

تاريخ الاستلام: 16./1./2021

الملخص

إسبانيا هي إحدى الدول التي تعيش فيها مجموعات عرقية مختلفة وتتعايش مع تقاليدها الخاصة. من بين هذه المجموعات الغجر الذين يعتبرون من أقدم المهاجرين المقيمين في إسبانيا في الوقت الحاضر، قديماً لم يشعر الغجر بأنهم مواطنون في أي بلد، لأن لديهم لغة مختلفة وثقافتهم مختلفة أيضاً، ثقافة حُكم عليها بشدة، نظراً لاختلاف طريقتهم في ارتداء الملابس والتحدث وحتى الاحتفال. اجتماعياً هم موصومون بالعار، لأن الفكر الشائع لدى السكان المضيقين لهم هو الاعتقاد بأنهم كذابون، غير جديرين بالثقة، لصوص، قذرين وغير متعلمين، لذا فقد واجهوا صعوبات عدة ليتم ادماجهم في المجتمع أو على الأقل ليتم تقبلهم كثقافة جديدة. رغم المعوقات الكثيرة إلا أنهم صنعوا حيزهم الخاص بهم واستطاعوا ممارسة نشاطاتهم وإحياء احتفالاتهم، بالنظر إلى الأعياد والاحتفالات لدى الغجر، يلاحظ أن هناك احتفالين لهما مكانة وأهمية أكبر في حياة الغجر. المراسم الأولى هي المعمودية والثانية الزفاف، الذي يولي له مجتمع الغجر أهمية بالغة. طقوس الزواج عند الغجر ملفتة للانتباه ومثيرة للفضول وفيها من التشابه مع ثقافتنا الجزائرية ما جعلها تكون محط اهتمامنا وبحسنا هذا الذي من خلاله سنحاول قدر الإمكان فك اللبس عن طرق إحياء الغجر لحفلات زفافهم وأهم العادات الشائعة بينهم متبعية المنهج الاثنوجرافي النوعي الوصفي بهدف إبراز التنوع الثقافي للعنصر الغجري الذي رغم الاضطهاد والتمييز ظل محافظاً على عاداته وتقاليده.

كلمات المفتاحية: أنثروبولوجيا، اثنوجرافيا، تقاليد، زواج الغجر، الثقافة الغجرية .

Abstract:

Spain is one of the countries where different ethnic groups and coexist with their own traditions. Among these groups are the Roma, who are among the older immigrants residing in Spain today. In the past the Roma did not feel themselves citizens of the country, because they had a language and a culture which was severely judged, they encountered difficulties in integrating into society or at least be accepted as a new culture. Despite all these obstacles, they were able to practice their activities and revive their celebrations, such as marriage, which have an importance. Gypsy wedding rituals are so interesting, and similarities with our Algerian culture, which makes it the center of our attention and of our research which we will try, as much as possible, to explain ways of making relive their marriages, using an ethnographic, qualitative and descriptive approach, in order to highlight the cultural diversity of the gypsy who despite persecution, discrimination, knew how to preserve its customs and traditions.

Keywords: Anthropology, Ethnography, Traditions, Gypsy marriage, Gypsy culture

1. مقدمة:

يُمثل المجتمع الإسباني حاليًا فسيفساء من الحقائق التاريخية والثقافية بخصائصه ولغاته وشعوبه، في هذا السياق متعدد الثقافات من الضروري أن نشير إلى أن الوجود الغجري في إسبانيا له ما يقرب من ستة قرون مضت؛ وأنّ العجر قد تركوا العديد من العناصر الثقافية التي تم العثور عليها في هذه المنطقة؛ وأنّ الثقافة اليوم ملأنا بإسهامات العجر في مجالات عدة؛ كالفن والأدب واللغة والتجارة والموسيقى، إلخ. العجر مواطنون يتمتعون بكامل الحقوق، ولهم سمات ثقافية خاصة بهم وهوية مشتركة، لا تُنقص من انتماءهم أو قيمتهم، بل على العكس من ذلك، فهي تمثل ثروة وقيمة مضافة للمجتمع الإسباني اليوم .

تختلف ديانة العجر حسب مكان إقامتهم، ويمكن أن يكونوا مسلمين أو كاثوليك أو مسيحيين أرثوذكسيين، بعد الحرب العالمية الثانية تحول الكثير منهم إلى البروتستانتية، وبشكل رئيسي إلى تلك الديانات التي يوجد بها زيادة بالإيمان الإنجيلي لدى العجر؛ حيث يميلون إلى تكوين ما يسمى بالطوائف؛ حيث يتم تكريم الله من خلال الأغاني أو الرقصات.

هناك ارتباط قوي بين العجر والفن وخاصة الموسيقى والرقص، جعلت التداخيلات المختلفة للمجموعة العرقية الغجرية، كشعب رُحّل تكوين الموسيقى الشعبية لتلك البلدان التي استقروا فيها. شكل الموسيقيون العجر وما زالوا يشكلون عاملاً مهماً في إثراء هذه الأساليب الشعبية وزراعتها والحفاظ عليها، كما كان الحال مع الفولكلور الغجري الذي وجد نقطته المشتركة مع غناء سكان الأرض الأصليين منذ سنوات عديدة، مما أدى إلى ظهور فنّ الفلامنكو، الذي يحظى بشعبية كبيرة، وهو موردٌ سياحي من الدرجة الأولى. من الجدير بالذكر أنّ الفولكلور الغجري بدأ مع كاتي دي لا تيرا منذ سنوات عديدة، والذي كان له الأثر البالغ على موسيقى الفلامنكو في إسبانيا، التي أثّرت شخصيات غجرية من مكانة كامارون دي لا إيسلا ، مانولو كاراكول ، خوسيه ميرسي ورايموندو أمادور. هذا الفنّ الذي طالما رافق حفلات الزفاف الغجرية وأبهجها، حفلات تميزت ولا زالت تتميز بطقوسها الروحية وعاداتها الفريدة من نوعها لما تمتلكه من خصائص تميزها عن باقي زيجات الغرب الآخرين.

رغم أنّ المرأة الغجرية من المنظور التاريخي لبعض الثقافات تعيش مهمشة على قارعة المجتمع ولا تمتلك أدنى حقّ مما تمتلكه نساء الغرب، إلا أنه يوم زفافها تُصبح كالملاك المقدّس الذي يحظى بكل الحبّ والتقدير من قِبَل العشيرة الغجرية؛ خصوصاً بعد أن يتمّ التأكد من عذريتها أمام الجميع، فطهارة العروس يوم زفافها هو بمثابة تكريم لعائلتها ودليل على أنّ الأب أو ربّ العائلة استطاع أن يتحكّم في زمام الأمور وكان قادراً على أن يحافظ ويصون شرف العائلة وشرف العجر قبل كل شيء، فالنظام الأبوي الغجري متجذّر بينهم، فالذكور هم من يمثلون الحميّة بينما النساء هم رمز للخضوع والطاعة .

الثقافة الغجرية ككلّ الثقافات غنيّة بعاداتها وتقاليدها وطقوسها، كما لها جوانب تميزها عن باقي الثقافات الأخرى في مجالات عدّة، كالطهو والطقوس الدينية والزواج، هذا الأخير هو محطّ اهتمامنا ودراستنا هذه لما وجدنا فيه من عناصر ملفتة للانتباه ومثيرة للفضول

كانت مفاجأة لنا. حقيقةً ربّما ما جعلنا نتناول هذا الجانب بالذات هو التشابه الرّهيب الذي وجدناه بين الثقافة الجزائرية والثقافة الغجرية في جوانب عديدة كعنصر العائلات المحافظة والاحترام، وتقديس العائلة وفوق كل شيء وتقديس ميثاق الزواج.

الشيء الذي جعلنا نتساءل بشكل رئيسي: كيف يحيي الغجر حفلات زفافهم؛ وما السر وراء تقديسهم لها؟ وما هو موقف نساء الغجر حيال هذه العادات والتقاليد؟ هذا وانشغالات أخرى سنحاول الإجابة عنها من خلال بحثنا هذا سنلخصها في النقاط التالية:

ما هو موقف الثقافات الأخرى وخاصة ثقافة البايا من الثقافة الغجرية؟

هل الغجريات محافظات بطبعهن أم هو نوع من التحايل للتعايش؟

ما مصير من تتمرد وتثور من النساء ضدّ عُرف الغجر؟

في هذا العمل البحثي الأنثروبولوجي الوصفي، الذي اعتمدنا فيه على المنهج الاثنوجرافي النوعي؛ القائم على تحليل معطيات المقابلات الميدانية التي أجريناها مع العيّات المراد دراستها أو ما يُسمى في المنهج الاثنوجرافي بقصص الحياة لمجموعة ما تنتمي الى نفس الوحدة الثقافية. سنحاول تسليط الضوء على جانب من جوانب الثقافة الغجرية ألا وهو طقوس حفلات الزفاف الغجرية وما تحويه من عادات وتقاليد وما يصحبها من تبجيل وتعظيم وطقوس روحانية.

2. مقارنة تاريخية

2.1. تاريخ الغجر في اسبانيا

الغجر هم مجموعة عرقية من شبه القارة الهندية، يعود تاريخها إلى العصور الوسطى، واليوم، استقروا بشكل رئيسي في أوروبا، لكنهم يشكلون أكبر أقلية عرقية في الإتحاد الأوروبي. تقليدياً، تم تجميع مجتمعات الغجر الهامة في إسبانيا من خلال المجتمعات المستقلة، تضم الأندلس أكبر عدد من الغجر بحوالي 300000 أي ما يعادل 3.3 ٪ من إجمالي سكان المجتمع الاسباني، وما يمثل 5 ٪ من إجمالي سكان الأندلس. يُشكل الغجر حالياً مجتمعاً من 500000 إلى 600000 شخص في إسبانيا حسب المنطقة. (Montoya, 1987, págs. 1-3)

يعيش حوالي 300000 غجري في المجتمع الأندلسي، قد يبدو هذا الرقم مبالغاً فيه، لكن حسب "الكتاب الأبيض للغجر الإسبان" يتركز الغجر في 12 ولاية إسبانية كلها برقم 210 ألف غجري بهامش خط يزيد أو يقل عن 10 ٪، لذا فإن الأرقام الإحصائية بالمجلس العسكري للأندلس ستكون كبيرة بشكل مفرط، لأننا لا نعتقد أن جميع الغجر يعيشون في الأندلس، إذا ما نظرنا الى مدينتي برشلونة ومدريد باعتبارهما مهمّتان أيضاً. وبحسب "الكتاب الأبيض" المذكور أعلاه، يتواجد 53 ٪ من الغجر في سبع مقاطعات: غرناطة؛ برشلونة؛ مدريد؛ أليكانتي؛ إشبيلية؛ مورسيا والأندلس يتركز 42 ٪ من سكان الغجر الإسبان في المنطقة الجنوبية، القيم المثوية للرجال والنساء متوازنة للغاية (51 ٪ و 49 ٪ على التوالي). تُظهر الهجرات بين المقاطعات بأقصى معدلات النزوح في برشلونة ومدريد. وتصدر الإشارة إلى أن الإدارة الذاتية الأندلسية تُخصّص سنوياً من خزينتها ما بين 40.000 و 65.000 مليون بيزيتا للخدمات الاجتماعية، وهو فصل يتواجد

فيه الغجر غير العمال إلى حد كبير؛ تنقسم ميزانية الخدمات الاجتماعية هذه إلى برامج قطاعية وبرامج مجتمعية ومعاشات تقاعدية ومنح للشركات المحلية. كل هذه البيانات الرسمية تم الإعلان عنها في عام 1989 من قبل وزارة المالية. (Valles, 2014, págs. 22-30)

يؤكد المجلس العسكري نفسه أن هيكل هذه المجموعة السكانية يتسم بمتوسط عمر الشباب (9 إلى 21 سنة)، حيث يقل عمر ثلثي سكان الغجر الأندلسيين عن 25 عامًا. (في الأندلس فقط 1.6 في المائة من السكان الغجر تزيد أعمارهم عن 65-70 عامًا)، متوسط تكوين الأسرة العجرية في الأندلس قريب جدًا من ستة أفراد، وهو ما يمثل حوالي 4 أطفال لكل زوج، وهو أعلى بكثير من متوسط الزواج الإسباني، وهو طفلين أو 3 لكل زوج؛ كل 100 أسرة من الغجر لديها أكثر من 10 أفراد؛ العائلات مستقرة نسبيًا في محل إقامتها، لكن حوالي 20 بالمائة منهم عاشوا في ثلاث نقاط إقامة أو أكثر؛ دخل الأسرة منخفض جدا. هناك نسبة عالية من الأمية (73٪)، ونسبة عالية من الأطفال في سن الدراسة خارج المدرسة؛ 53٪ من بين من هم في المدرسة؛ هناك نسبة كبيرة من التسيب والفشل الدراسي؛ الأطفال في سن ما قبل المدرسة هم عمليا مائة بالمائة خارج المدرسة. فيما يتعلق بالسكن، عاش ما يقرب من نصف (44٪) من عائلات الغجر في أكواخ أو منازل منهارة أو كهوف. (Montoya, 1987, págs. 3-7)

وتشير بعض المؤشرات إلى أن الغجر وصلوا إلى شبه الجزيرة الإيبيرية عام 1425؛ حاملين ثقافة وعادات قديمة اصطدمت بوضوح مع الهياكل الثقافية الثابتة والقائمة في إسبانيا. ومع ذلك، هناك مصادر أخرى تشير أو تعتبر هؤلاء الغجر الذين وصلوا في القرن الخامس عشر كنوع من الشحنة الثانية، أنهم دخلوا سابقًا من إفريقيا أو قد فعلوا ذلك عبر فرنسا، وربما انحدروا من الهند أيضا. تأتي كلمة الغجر من اللغة اللاتينية المبندلة aegyptano (المصرية)، لأنه كان يُعتقد في القرن الرابع عشر أنهم أتوا إلى أوروبا من مصر. حتى القرن الثامن عشر اكتشف اللغويون، الذين قارنوا لغة الغجر مع لغة الشعوب الأخرى، أن هذا الشعب ليس من أصل مصري، بل من شمال الهند، على الرغم من أنه من غير المعروف على وجه اليقين متى بدأت هجرة هذا الشعب. كما أنه في إطار "ندرة البيانات الموثوقة"، غالبًا ما قيل بأن الغجر قد انحدروا من الهند، حيث كان عليهم أن يخرجوا تحت الضغط بشكل أساسي بفعل التعصب التركي. حاليًا، في الهند، وخاصة في مدينة أوريسا، يمكن رؤية العائلات البدوية التي تسافر وتعيش في عربات مغطاة بالشموع وتعتبر نفسها من نسل الغجر الأصليين. (Proletier, 1974, págs. 13-15)

للغجر علم خاص بهم، حيث يمكننا أن نرى عدة أجزاء. في المقام الأول، نجد عجلة حمراء، تمثل الطريق الكامل الذي يسير فيه الغجر والدماء التي أراقها الغجر للوصول إلى مستوطناتهم وحريتهم. بعد ذلك، يعرضون لنا لونين، في الطبقة العلوية نجد اللون الأزرق الذي يرمز إلى السماء وسطح منزلهم، مما يدل على أنهم كانوا من البدو الرحل، واللون الأخضر الذي يمثل لون العشب وأرض منازلهم. في القرن الخامس عشر، يخبرنا الإسباني بينينو غونزاليس، "لقد شعروا بالراحة في كل مكان، طالما أن الدين يحميهم بإدانة الله السلام لهم، فإن الحياة بالنسبة لهم لم تكن سيئة على الإطلاق. لكن حبهم للاستقلال، وميلهم إلى وضع المثل العليا في الواقع، وازدراءهم لأداء العمل الشاق والمربح، وبفعل الفقر وبعض العقلات المتعصبة، وبعض الأشياء الصغيرة الأخرى انتهى بهم الأمر إلى سخط السكان الأصليين عليهم. فبدأت بهذا الأوقات العصيبة على الغجر". لكن يبدو أن بينينو غونزاليس قد تسرع للغاية في تصريحاته. فقد بدأت الأوقات الصعبة للغجر

منذ أن وطأت أقدامهم الأراضي الإسبانية، فقد كانوا أقلية لم يتم تطهيرها في التسلسل الهرمي الاجتماعي الإسباني. (Grande, 1993, págs. 34-40)

Rufantes بدوره صرح "أنه على الرغم من القرارات القمعية ضدهم فقد استمرّ الغجر في تكريس أنفسهم لتجارة السلاح وغيرها من الحرف الصغيرة الأخرى، مثل الجزارة، وتسوّلت النساء من جهتهنّ من خلال قراءة الحظّ أو الطّالع وفناجين القهوة". هذا وإن دلّ فإنما يدلّ على أنّ الغجر لم يكرهوا العمل مثلما أُشير إليهم، ولكن كانوا في ذلك الوقت كما هو الحال الآن يفتقرون إلى إمكانية العمل، وبغضّ النظر عن خصوصيات الغجر أنفسهم، فإنّ ما حدث معروف جيداً، فهم لم يجدوا لهم مكاناً في عالم طبقيّ واضح، تُهيمن عليه التّقابات والأعضاء واللّوردات من ناحية، ومن ناحية أخرى، محاولة السّلطات الرّسمية، والأرثوذكسية الكاثوليكية فصل هذا الشعب عن خصائصه العرقية، ولا يزال هذا الإجراء قيد التّنفيذ حتى اليوم. (Mensses, 1972, pág. 82)

يقول أنطونيو دومينغيز أورتيث (Antonio Domínguez Ortiz) "إنّ الافتقار إلى دخل منتظم أدّى بهم إلى التّسكع المتكرر واللصوصية"، ثار كورتيس قشتالة ضدهم عدة مرات وتم إصدار قوانين في عامي 1575 و1639 لإدانة جميع الغجر الذكور العاملين بالمراكب الشراعية. ومع ذلك، كان هناك دليل لا لبس فيه على أنّ الغجر كانوا قابلين للاستيعاب أي لقوا نوعاً من التّبول من السّكان في كل من إشبيلية وغرناطة ومدن أخرى، حيث كان هناك غجر يعيشون في الأحياء ويمارسون التجارة. (Antonio, 1974, pág. 311)

تُشير المصادر التي تدلّ على وجود الغجر في شبه الجزيرة من القرن الخامس عشر فصاعداً، أيضاً إلى عنصر المفاجأة الذي تسبّب به هؤلاء الأشخاص "الغريبيون والمتشردون" كما أُطلق عليهم، والذين أثّروا الفضول والرّفص معاً. بدأ الأدب في ذلك الوقت يرصد صدى الحداثة وأدباء كثر من أمثال Gil Vicente وLope de Rueda وCervantes، وآخرين، اهتموا بالسّكان الجدد وبنمطهم البوهيمي للحياة الذي يتناقض مع إسبانيا، وعاملوهم في بعض الأحيان بتعاطف. (Maria Helena, 2009, págs. 80-85)

كما تفاجأت شبه الجزيرة من اللامبالاة الدينية المطلقة من قبل هذا الشعب الذي عملياً، وعلى عكس اليهود والمور، لم يكن لديهم أي دين حيث زعموا أنهم مسيحيون وبالتالي حرروا أنفسهم من الذرائع القمعية لمحاكم التفتيش، التي تعاملت فقط مع المعتقدات وليس مع الممارسة. كان رأيًا عامًا مفاده أنّ الأغلبية لم تعتمد ولم تنفذ تعاليم الكنيسة، على الرغم من أنه لا يمكن إثبات ذلك لأنهم يفتقرون عادةً إلى محل الإقامة. وأخذ بعض الأساقفة مواقف متعصبة اتجاههم، كما فعل أحد الأساقفة، حيث أمر في عام 1655 بسؤالهم عن سبب زواجهم وعن عملي أطفالهم. ومنعهم من التحدث بلغتهم واستحضر ملابسهم في حفلاتهم والرقص والغناء. لم يتم بذل أي جهد جاد في الواقع لحل مسألة الغجر التي تم تسليمها في القرن الثامن عشر إلى شخصيات مماثلة لتلك التي كانت في الأزمنة السابقة. (lopez, 1967, pág. 90)

عالم الفلامنكو خوسيه لويس أورتيث نوفيرو، أكّد على أنّ الغجر هم رمز الشعب الأندلسي. تجسّد ذلك في الأغاني التي تم عزفها بمفردها دون مرافقة الغيتار، مبنية على أشكال قديمة من الرّومانسية، مليئة بأحاسيس الكُرب والاضطهاد مثل تلك التي غناها خوان بينيا "El

Lebrijano؛ والعمل المسرحي Crueldades الذي كان عبارة عن صرخات مغصٍ وألمٍ كانت تسمّى Tonás؛ والتي تمثلت في بعض الكلمات التي يمكن أن تعكس معاناتهم؛ حيث أن نصف مليون غجري ماتوا على أيدي النازيين؛ وهذا العدد قليل جدًا فهو فقط ماورد في الكتب المدرسية. نعلم جميعًا الاضطهاد الذي تعرض له اليهود، لكننا نعرف بدرجة أقل مسألة الغجر في الحرب العظمى الثانية. ففي الحرب الأهلية الإسبانية كانت هناك معارك وأبطال غجر على جانبي الحرب. أما في الحرب العالمية الثانية، لم يكن هناك أبطال غجر لأنهم جميعًا أعدموا من قبل النازيين. (Nuevo, 2005, págs. 99-102)

قبل اختتام هذا الفصل حول المقاربة التاريخية، نود أن نجمع بإيجاز نظريات أحد المتخصصين البارزين في هذا المجال: البروفيسور برنارد لبلون، من جامعة برينيان. في 22 مايو 1990، عقد لبلون مؤتمرًا في كلية الجغرافيا والتاريخ بجامعة إشبيلية، والذي نظم تحت عنوان "تاريخ الغجر في إسبانيا وأصول الفلامنكو"، (Aula de Flamenco de la Universidad Hispalense)، من تنسيق البروفيسور ميغيل روبيرو حيث أكد على حقيقة أن العديد من العناصر الغجرية يستقرون في الأندلس ويقومون بذلك بشكل قانوني ليس فقط كـ "قشتاليين جدد" ولكن أيضًا في بعض الأحيان كـ "قشتاليين من الدم القديم"، بحجة أنهم ينحدرون من فرسان قاتلوا في فلاندرز من أجل الإمبراطورية، وفي هذا السياق في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن التاسع عشر، حيث وُلد غناء الفلامنكو يؤكد البروفيسور لبلون أنه في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كان 77% من الغجر الإسبان يقيمون في الأندلس، لقد قاموا بزراعة الأرض ولكن أيضًا مارسوا ما يُعرف باسم "التجارة المحظورة". (Leblon, 2017, págs. 278-285)

3. الثقافة الغجرية

3.1. مقومات الثقافة الغجرية

يمكن تعريف ثقافة الغجر، مثل أي ثقافة أخرى، على أنها مجموعة من الأفعال والقيم والعادات والأفكار وطرق التفكير ونمط الحياة وما إلى ذلك، والتي يتعايش معها الغجر بطريقة تتكيف مع نمط وجودهم. وفي هذا المعنى، فإن طريقة تفسير تجاربهم هي ما يمنح الغجر هويتهم الخاصة، فعلى الرغم من الصعوبات التي واجهوها عبر التاريخ، حافظ الغجر على تقاليدهم وعاداتهم (اللغة، الفن، وقيمهم الخاصة...). يُمثل الغجر الإسبان حاليًا الأقلية العرقية الأكثر في إسبانيا. ومع ذلك، فإن جزءًا كبيرًا من المجتمع الإسباني يُظهر رفضًا كبيرًا اتجاههم بسبب قيمهم التي تبدو للعيان على أنها قيم غريبة ومتخلفة، ومنه لا يمكن تصوّر هوية الغجر دون مراعاة القيم التي تحكمهم، من بينها وجب ذكر احترام الأسرة كمؤسسة، حيث يُولي مجتمع الغجر رعاية خاصة للأطفال وكبار السن الذين يتمتعون بأعلى درجات الاحترام والتقدير، أيضا يتسمون بحسن الضيافة كالتزام يجب التعبير عنه بسرور وبأقصى قدرٍ من الاهتمام؛ ضِف إلى ذلك الشرف، وهو ما يعني لهم الوفاء بالكلمة المعطاة والإخلاص لـ "قانون الغجر"، الشعور بالحرية شرط طبيعي للإنسان، حيث أن الحرية الفردية مقيّدة بالحرية الجماعية، لذلك عند اتخاذ قرارات مهمة سيتم النظر في النتائج العائلية والجماعية المحتملة قبل اتخاذها. يتم عيش طريقة الشعور بطريقتين: فردية وجماعية، الأولى مغروسة منذ الطفولة، والثانية متجذّرة في الأسرة، وقس على ذلك التضامن، الذي يقوم على الإخلاص للشعب والأسرة. الشعور بالتضامن

والمساعدة اتجاه أفراد المجموعة العرقية هو التزام بحث، الامتثال للقرارات التي يتخذها كبار السن وفقاً لقانون الغجر. (Hancock, 2002, págs. 312-315)

نحن نفهم هذا النظام الغجري على أنه مجموعة من العلاقات ذات النمط الثقافي التي تُشكّل الأدوار والحالة التي تُسبب إلى الأشخاص من جنس مختلف طوال فترة الحياة في مجتمع معين، والتي تؤثر على العلاقات الفردية والجماعية للأشخاص. الغجر مجتمع أبوي متطرف، حيث يتمتع الرجل بالاحترام واتخاذ القرارات والقيادة، مما يجعل المرأة في خلفية الخضوع والطاعة. في الواقع، في مجتمع الغجر، هناك شخصية البطريك وهم كبار السن الذين يشغلون منصب زعيم الأسرة أو العشيرة. بالإشارة إلى المؤشرات الأنثروبولوجية الأخرى التي قدمتها المديرية العامة للخدمات الاجتماعية في المجلس العسكري الأندلسي فإنه يتوجب عليهم الحفاظ على طقوس الغجر، ويجب على المرأة في جميع الأحوال طاعة زوجها واحترامه، وكذلك الحفاظ على عذريتها قبل الزواج. (Malinowski, 1996, págs. 55-75)

الغجر من أشد المؤيدين للزواج باعتباره مرحلة انتقالية ويرفضون العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج، وكذلك ينبذون الطلاق والانفصال وفوق كل شيء الإجهاض، كل هذه الأمور غير لائقة بعرق الغجر، كما أن الإخلاص المتبادل هو جانب آخر يعتبرونه على الأقل من الناحية النظرية، غير قابل للجدل، من ناحية أخرى، يؤكدون على أنّ العدالة هي نفسها للجميع وعلى الجميع، على الرغم من أنهم لا يشيرون أبداً إلى العدالة الاجتماعية بل يشيرون إلى وجود محاكم العدل التي يجب أن تعاقب من يرتكب الخطايا. فيما يتعلق بالجيش، يعتبرونه ضرورياً، لأنهم يعتقدون أنه المدافع والحامي لإسبانيكما يعترفون بالخدمة العسكرية حسب الضرورة. لم نرصد رأياً مضاداً للعسكريين بمعنى انتقاد الوضع الاجتماعي للجيش. لطالما اشتكى الغجر من أنّ وسائل الإعلام، والتي في بعض الأحيان، تبالغ وتشوه حقيقة الوضع الذي يعيشون فيه، مما يضعهم في خلفية المجتمع أو في وضع التهميش والفقر بدرجة أكبر مما هم فيه. حيث قامت عدة مظاهرات بسبب تصريحات إعلامية أطلعنا عليها غجري قائلًا "قالوا على التلفزيون أننا نأكل في علب وبينما نأكل نسحب القمل، هذه كذبة، نحن فقراء ولكن ليس كثيرًا". (Fonesca, 2009, pág. 75)

من خلال التحقيق الإثنوجرافي في بعض علامات الإثنية الغجرية، تأكدنا بأنه ليس لديهم فقط طريقة حياة ولكن أيضاً لغة، وهي ما أطلق عليها اسم كالو أو الرومانية (romaní)، وشكل ثقافي غنائي تجلّى في الفلامنكو، يقول فيليكس غراندي في هذا الصدد "لم يولد هذا الفن في حرارة الولايات المتحدة أو الثقافات السائدة، لقد نشأ من شعب محقر، يكون أحياناً غجرياً، وأحياناً أخرى أندلسياً" (Grande, 1993, الصفحات 368-370). بالنسبة للغجر، تتكون الثقافة من اللغة وقوانين الغجر والتقاليد والعادات والطقوس والتعبيرات الفنية التي يتعرف عليها جميع الغجر ويقبلونها على أنّها تعبيرات عن حياتهم اليومية، لا توجد كتب كتبها الغجر، لكن لديهم أفلام مثل العود وألما جيتانا وغيرها، ويضطرون إلى تعلّم ثقافتهم بأنفسهم، لأنه لا يتم نقل أي شيء متعلق بهم. وجد الغجر الجدد عند وصولهم إلى إسبانيا اختلافاً تاماً عن أولئك الغجر الذين تم تشكيلهم لاحقاً مع نهاية حروب الاسترداد وما تبع ذلك من توحيد مملكتي قشتالة وأراغون. وبينما يستخدم هذا المجتمع الإسباني المطبق مصطلح "الغجر" كمرادف للسايق، الكسالى والصراع، فإن كونك غجرياً يعني احترام سلسلة من القيم والسلوكيات الأخلاقية المقبولة عالمياً كدليل على التحضر والتّضح. (Dorm, 1993, págs. 45-55)

لا شك أنّ قوّة الأسرة تُعطى من خلال عدد الرجال لديها (وهذا يعتمد على التاريخ، فكلما زاد عدد الرجال في المجموعة كلما كان من الممكن الدفاع عنها بشكل أفضل). في اعتقاد العجر، يمكنك أن تكون رجلاً قوياً ولكن ليس رجلاً محترماً. قوانين العجر شفعية، ويرأسها كبار السن، وعدم وجود مدوّنة حقوق مكتوبة لا يعني عدم وجود قضايا مثل: السرقة أو خداع عجري لآخر أو خيانتته. تعتبر جرائم كل من هجر الأسرة في الأوقات الصعبة، غزو حدود أراضي عائلة معارضة، عدم التقيد بالقوانين المفروضة من قبل مجلس الشيوخ و عدم الامتثال للقانون، كما هو الحال في الثقافات الأخرى، هي جرائم تترتب عليها عقوبات تعتمد على خطورة الجريمة، يمكن أن تتراوح من الاعتداء الجسدي إلى حظر الدوس على مناطق معينة، أو طرد مجموعة الأسرة التي ينتمي إليها الفرد إلى (ما يسمى بالمنفى)، فأَيّ عجري يرتكب جريمة يجب أن يقضي عقوبتين، الأولى التي يفرضها القانون الإسباني والأخرى التي يفرضها قانون العجر. (Garcia, 2006, págs. 33-38)

3.2. طقوس الزواج العجري

تتفق الدّراسات الأنثروبولوجية التي أُجريت قبل الألفيّة الجديدة، على أن زواج العجر يُمارس وفقاً لقواعد زواج الأقارب، أي تعزيز الرّبّيات بين الأعضاء المنتمين إلى نفس المجموعة الأبوية، ومع ذلك، لا يتم تقديم زواج الأقارب كنمط ثقافي ثابت أو إلزامي، هذه الممارسة الأخيرة أقلّ شيوعاً بين زيجات كالتو الإسبانية من العجر وأكثر عمقاً بين العجر الرّومان في أوروبا الشرقيّة، حيث يتم أيضاً إجراء الرّبّيات بين أبناء العمومة في وقت واحد. ربما يرجع السبب الأخير إلى حقيقة أن المجموعات الموجودة في منطقة البلقان تميل إلى أن تكون مجموعات أكثر انغلاقاً على الآخرين، بالإضافة إلى هذا السبب، يجب أن نضيف أن هذه المجموعات تتركز في مناطق محددة إقليمياً نتيجة لقاعدة الأبوية، لذلك من الصّعب العثور على أفراد من نفس المجموعة لا ينتمون إلى نفس النسب أو العائلة. (Jan, 2009, pág. 46)

مع الأخذ في الاعتبار الدّراسات المختلفة التي أُجريت في العقدين الماضيين والتي خلصت إلى أنّ "زواج الأقارب التقليدي أصبح يطبّق بمعدل أقل فأقل، في هذا الصّدّد يمكننا الإشارة إلى نوعين من الزواج، مثل تلك التي ينتمي فيها الزوجان إلى نفس المجموعة العجرية ولكنهما بدورهما ينحدران من أعراق مختلفة، أي زواج الأقارب على أساس العرق أو المجموعة. أمّا النّوع الثّاني فهو الزّواج الخارجي، متعارف على أنه الزواج الذي يتم تكوينه من قبل عجريّ و gadyé، أي (غير عجري)، وهو ما يعرف أيضاً باسم "الزواج المختلط". تقريباً قبل قرن من الزّمن كان هذا النّوع من الزواج غير وارد، على الرغم من أنه ليس محظوراً، أمّا حالياً فإنه يلقي قبولاً تدريجياً، دون أن يكون وجوده سبباً للصّراع الاجتماعي. (Gamella, 2007, pág. 45)

تقريباً في منتصف القرن العشرين، عندما كان ما يسمى بـ "قانون 17marhimé لا يزال موجوداً، تمّ رفض الاتّصال بين العجر وغير العجر علانيّة. ومع ذلك، يدرك كلّ من أعضاء مجموعة Spoitori¹ الفرعيّة ومجتمعات العجر اليونانية الموثقة من قبل Daskalaki، أن

¹ هم مجموعة من العجر

الزواج المختلط من شأنه أن يشكل حدًا اجتماعيًا واقتصاديًا، مع الأخذ بعين الاعتبار أن جزءًا كبيرًا من الغجر في البلقان وأوروبا الشرقية لا يزالون يمارسون الزيجات التي يرتبها الآباء. (Dios, 2005, págs. 33-42)

لا تتبع طقوس زواج الغجر أنماطًا متجانسة. في الواقع، يمكننا ملاحظة تمايز واضح في الممارسات الاحتفالية لأعضاء مجموعة كالدو الإسبانية والزوم الغجر في أوروبا الشرقية. بالنسبة لغجر كالدو، أي المجتمع السائد في الأراضي الإسبانية لأكثر من ستمائة عام، اتفق الآباء على الزواج وحفلات الزفاف ومعه أقاموا زيجات قسرية، رُتبت بدون موافقة الزوجين. في الوقت الحالي، يعتبر الزواج دون موافقة الطرفين حقيقة غير عادية، ليس ذلك فحسب، ولكن أيضًا هناك صراع داخلي من قبل جمعيات الغجر لإنهاء هذه التقاليد العرقية التي تنتهك بشكل خطير حقوق وحرّيات نساء الرُوما أي الغجريات. (Román, 1994, págs. 27-30)

زواج الغجر روحانيًا للغاية، ويتم الاحتفال به بطريقة فاضحة نوعًا ما وعامية. تتميز حفلات الزفاف الغجرية بأصالتها ومرحها ومهرجاناتها الطقسية التي لا تشترك كثيرًا مع حفلات الزفاف الإسبانية. الغجر شعب لديه تقاليد عميقة الجذور. من الجيد جدًا أن نكون مخلصين للتقاليد، هذه هي الطريقة التي يلتزم بها الغجر بتقاليدهم وأعرافهم، ففي ثقافة الغجر، يُعدّ نقاء العروس أي عذريتها أمرًا مهمًا للغاية، وعندما يتم إضفاء الشرعية عليها أي التأكد من طهارتها، فإنها تظهر عادةً باستقبال جيد وبهيج من قبل العائلات والعشيرة، ولا يزالون يحافظون على تقليد الزواج قبل حدوث أي علاقة جنسية، الأهم بالنسبة لهم هو شرف المرأة الذي يعتبر شرف جميع أفراد الأسرة الغجرية. قلة قليلة من نساء الغجر اللواتي لا يتزوجن عذاري. وإن حصل وحدث، فإن التقاليد تمنعهم من الزواج؛ ولكن إذا وُجد غجري يقبل بامرأة غير بكر فقانون الغجر قد يقبله. يجب أن تكون الاحتفالات الدينية الغجرية إنجيلية أو كاثوليكية ويجب أن تتم في الصباح. وترافق الطقوس ترانيم كورالية وآلات موسيقية من جميع الأنواع، تأتي العائلات بأعداد كبيرة، وغالبًا ما يتزوج الغجر في سن مبكر في حدود خمسة عشر سنة على الأغلب. (Ramírez Heredia, 2005, pág. 25)

أُقيمت واحدة من أولى حفلات زفاف الغجر في القرن الحادي والعشرين في إسبانيا وعُقدت في حديقة La Purísima² العامة، حيث شوهدت العروس ترتدي فستانًا طوله سبعة أمتار وتمشي على سجادة طولها حوالي أربعين مترًا مليئة بشقائق الزهور. يحتفل المجتمع الغجري بالزفاف لمدة ثلاثة أيام، غالبًا ما يُقام الاحتفال به في فصل الصيف، حيث يمكن للضيوف المشي والغناء والرقص في ظروف مريحة، في السابق، كان من المعتاد وضع طاولات منخفضة ووضع السجاد مباشرة على الأرض، حيث كان من المفترض أن يجلس الضيوف، وهو أمر مستحيل في موسم الشتاء. خلال اليوم الأول من الاحتفال يتم إجراء اختبار المندبل وفي اليوم الثاني تقام المأدبة والاحتفالات الدينية. ويبدأ اليوم الثالث مبكرًا جدًا، حيث يشارك المجتمع الغجري بأكمله العروسين فرحتهم. (Dios, 2005, pág. 65)

التقليد الشائع بين الغجر هو تزواج الأطفال منذ الصغر. عادة ما يحدث هذا في العائلات الصديقة التي تريد أن تعزز العلاقات الدّموية. لا يتعين على العروس أن تعرف أنها ستزوج، وهذا أمر مفهوم إذا كانت لا تزال طفلة في ذلك الوقت. علاوة على ذلك، لا تزال العائلات

² Purísima del Rincón هي واحدة من 46 بلدية تشكل ولاية Guanajuato في المكسيك، والمعروفة باسم معجزة القرن التاسع عشر التصويرية. يحدها: من الشمال الشرقي بلدية ليون، ومن الغرب ولاية خاليسكو، ومن الجنوب مانويل دوبلادو، ومن الشرق سان فرانسيسكو ديل رينكون.

العجربة تتمتع بنظام أبوي كلاسيكي قوي لا تجرؤ فيه الابنة على مجادلة والدها، حتى في قضية مهمة جدًا بالنسبة لها. (Auzias, 2011, pág. 45)

طلب اليد يعتبر الخطوة الأولى لبدء الزفاف حيث يلتقي الزوجان الشابان ويتعارفان تقليديًا وفق ما تنص عليه العشيرة والقانون العجري، بعد قضاء الوقت معًا، وبعد أن يُحبّ كلّ منهما الآخر، يأخذ الشاب رأي الفتاة إذا قبلت، فعليه أن يطلب يدها أمام جميع أفراد عائلتهما، يذهب إلى منزلها مع والديه ويطلبون يد الفتاة، وبعد قبولهم يعلنون حقيقة الأمر لجميع الأقارب والجيران ويبدوون في التحضير للزفاف، في أسر العجر، لطلب اليد، يتجه أقارب العريس إلى منزل والدي الفتاة حاملين معهم أهمّ شيئين وهما: "فلات" وهي زجاجة نبيد (زجاجة نبيد مرصعة بعملات معدنية باهظة الثمن) أو "درافيتس" وهو (غصن تعلّق عليه مختلف الأوشحة الثمينة والمال)؛ بالإضافة إلى كعكة الزفاف (رغيف مغطى يخبزه أقارب العريس). إذا تم وضع كل هذا على الطاولة، فإن والدي العروس لا يمانعان في تزويج ابنتهما لهذا العريس. أثناء هذا الطّقس، ويتم تحديد حجم الفدية، والتي يتم نقلها إلى والدي الفتاة. من المعتاد دفع فدية (أو ما يُسمّى حاليًا بالمهر) للعروس التي يريد العريس الزواج منها كتعويض لفقدان المساعد الذي كان في منزل والدي الفتاة، ويجب أن يكون حجم الفدية مساويًا لمزايا زوجة المستقبل. كما يساعدونها في اتباع حاجياتها خاصة الوسائد والبطانيات والمجوهرات، إلخ. (Malinowski, 1996, págs. 78-88)

ويشير قانون العجر إلى أنّ الرجل يجب أن يكون مخلصًا تمامًا لزوجته. في يوم الزفاف، تذهب العروس إلى مصفف الشعر لتصفيف شعرها ووضع المكياج والتزيّن، ثم تعود إلى المنزل لمساعدة والدتها في الاستعدادات للحفل الذي يُقام عادة صباحًا في وقت ما بعد الظهر، بمجرد أن يحين وقت الاستعداد، تختار العروس ملابس رائعة للغاية؛ بألوان مزركشة وأقمشة براقّة، وكذلك الحليّ المميّزة بالآلئ والألوان الزاهية. من جانبه، يُساعد العريس والده في تجهيز المكان للاحتفال (نصب الطاولات والكراسي والخيمة، إذا لزم الأمر). ومثل زوجته المستقبلية، يرتدي بدلة تتناسب عادةً مع ألوان فستان عروسه. تذهب عائلة العريس إلى منزل عائلة العروس، هناك سينتظر الجميع ويخيم الصمت حتى يتحدث العجري الأكبر سنًا، بمجرد حضور الشيوخ، يبدأ الاحتفال بطقس العهد، حيث تتم مخاطبة الشابين بهذه الطريقة الشارح (يسمونه شارع العروس) تعيش وردة جميلة جدًا، وفي الشارع (الآن شارع العريس) يعيش قرنفل - "أيتها الوردة الجميلة، هل تريدين القرنفل؟" - «قرنفل وأنت هل تريد الوردة؟ إذا أجاب الزوجان بالإيجاب، فيجب أن تكون الإجابة قوية ومسموعة للغاية احترامًا لكبار السن أمامهم» (Mola, 2006, págs. 65-68).

يوم الزفاف مليء بالتقاليد والطّقوس الروحانية، بادئ ذي بدء، يساعد أقارب الزوجين العروسين على ارتداء ملابسهما، هناك ينتهزون الفرصة لالتقاط الصور، كما ينتهزون الفرصة للغناء، تُقام المراسم الدينية دائمًا في فترة ما بعد الظهر، وعادة ما يتزوجان في الكنيسة، ولكن يوجد أيضًا من العجر ممن ينحدرون من الروم الكاثوليك لذلك، من المحتمل أن ترى حفل زفاف عجري في معبد كاثوليكي، حيث الوالدان، والد العروس ووالد العريس، هم من يسلمونهم إلى القسّ. عندما يبدأ حفل الزفاف العجري حقًا، من المعتاد أن يحمل الرجال العروس بين أذرعهم ويمشون بها عبر طاولات الضيوف. خلال حفلة عجربة حقيقية، عادة ما يتم أداء طقوس ربطة العنق، ويقوم الضيوف بإيداع المال للعروس والعريس، وبالمقابل تقوم النساء في حفل الزفاف بإعطاء القرنفل لمن دفع المال، ليحين وقت Yeli، وهو طقس تجتمع فيه النساء

لامتحان منديل العروس، أو ما يسمى اختبار المنديل وهو أحد أكثر طقوس الزفاف العجري شيوعاً وتقديساً، من خلاله يتم التحقق مما إذا كانت العروس عذراء، وهو أمر تقوم به امرأة مختصة تدعى الأجتورا (la aguntaora) وهي الشخصية الأساسية في الزفاف، والتي لها دور التحقق مما إذا كانت الزوجة المستقبلية عذراء وهي خدمة سعرها حوالي 600 يورو. في غرفة مغلقة بها منديل (يجب أن يكون أبيض بطول نصف متر) وبعض النساء المدعويين لحضور حفل الزفاف بمثابة شهود عيان، يجب أن يخرج المنديل ملطّخاً بالدماء، إذا كان الأمر كذلك، فإنّ العروس عذراء وبالتالي يمكنها الزواج. إذا لم تكن الفتاة عذراء فلا يمكنها الزواج. على الرغم من أن الاختبار في بعض الأحيان يكون سلبياً، وهي حالات شاذة، إلا أنّ كل فتاة تقريباً تحصل على الوردات الثلاث (وهي ما يطلق على الدم الطاهر الذي يعلق بالمنديل)، لأن النساء يُدركن جيّداً أنه يتوجّب عليهن أن يكنّ عذاري إذا أردن إقامة حفل زفاف عجري. (Auzias, 2011, págs. 16-18)

خلال وقت الاختبار، تنتظر عائلة العروس وأصدقائها النتيجة. كما يُطلب من العريس بدوره أن يظل أيضاً بكراً حتى وقت الزواج لكنهم لا يشددون على الرجل في هذا الموضوع أي أنّ له الحرية المطلقة لتقرير ذلك. بمجرد اجتياز اختبار المنديل، سيبدأ المجتمع العجري الحفلة ستعرض أمّ العروس والعريس بفخر الحجاب أو المنديل للجمهور، ليتم بعد ذلك الاحتفال بالزواج القانوني بطريقة شرعية، ومن ثم يُعرض المنديل الملطّخ أمام الضيوف وتُغنى البوريّة، وهي أغنية كلاسيكية مجهولة الأصل تقول: "في مرج أخضر، رفعت منديلي، خرجت ثلاث وردات مثل ثلاثة نجوم"، كما يمزّق الرجال قمصاتهم كعلامة على الفرح وبادرة على النشوة، ويرفعون الزوجين على أكتافهم، ويلقون عليهم باللوز أو الجوز بالكراميل كعلامة على السرور، وتبدأ الموسيقى. في نفس الوقت تغنى الأغاني المختلفة للبور³ وهي تلك التي يغنيها الغجر تكريماً للعروس (قبل منذ زمن طويل أنها تجلب الحظ السيئ إذا قمت بغنائها ما لم تكن في حفل زفاف). يرتدي العروس والعريس خواتم ذهبية (أو فضية) على الإصبع الأيمن أو الأيسر (حسب تقليد المكان). يمكن أن يستمر الاحتفال لأيام أو أن يكون أبسط من ذلك، اعتماداً على ما تريده كل عائلة. على الرغم من وجود أزواج غجر في الوقت الحالي يقررون عدم اتباع هذه العادات واختيار أنواع أخرى من حفلات الزفاف. هناك نسخة أخرى من التقليد، والتي تنصّ على أنه بعد أن يذهب العروسان إلى خيمة الزفاف أو غرفة النوم يجب أن يحصل الضيوف على صينية بها قميص العروس والزهور الحمراء. عدم خلع القميص، أو عدم وجود آثار دماء عليه فقدت فيها العروس عذريتها. يوقع العار والفضيحة على العروس وأسرهما وينحل الزواج. وبعد اختبار الشرف يتم توحيد الدم وذلك بعمل شقوق في أيدي المتزوجين، ثم يتصافحان، ونتيجة لذلك يختلط الدم في الجروح، مما يعني في قانون الغجر أن العروسين أصبحا أقرباء، وهم ملزمون بتقسيم كل شيء إلى نصفين وتربية أطفالهم معاً. (Atenea, 2021)

إذا ما عدنا إلى لباس العروس فإنه يتكون من فستانين أحدهما باللون الوردى (رمز الأنوثة)، والآخر باللون الأبيض، وهو رمز النقاء. لا يمكن استعارة فستان العروس، يجب أن يكون جديداً، وعادة ما يشتريه والد الزوج، وأهم شيء بالنسبة للعروس هو التاج، فعادة ما ترتديه

³ البورا هو أسلوب غنائي يأتي اسمه من غناء "البوداس" الذي يشير إلى "البر" (الفجر). هذا الغناء من أصل قشتالي. نادراً ما يكون البورا جزءاً من حفلات الفلامنكو نظراً لوجود خرافة حول جلبه سوء الحظ في حالة غنائه خارج حفل زفاف عجري. عادة ما تغنى في طقوس زواج الغجر. بالنسبة لمغنيي الغجر، يجب الاحتفاظ بهذا الأسلوب لحفلات الزفاف وعدم غنائه خارج هذه الاحتفالات. يجب أن تكون كلماتها مصحوبة بأربع آيات من سبعة مقاطع ولازمة. غالباً ما يتم غناؤها باستخدام libre (بدون بنية إيقاع) متبوعاً بمقياس 12 عداء، والذي يمكن أن يبدو أيضاً مثل إيقاع abandolao في مقياس مكون من 6 أرقام، على غرار bulerías.

النساء فوق شعرهنّ الفضفاض المزيّن بالزهور أو التيجان اللامعة، يبارك العجر الأزواج بالخبز، ولا تقوم المباركة بالأيقونة والترانيم إلا من قبل العجر الأرثوذكس، لذلك فقط الطبقات العليا من المجتمع يمكنها أن تبارك العروسين بالأيقونة والطبقات السفلى بالخبز، خبز الزفاف نفسه يُخبز من قبل النساء اللواتي نبحن في الحياة الأسرية، بينما تشتريه البقية. (Dios, 2005, págs. 2-10)

حفل زفاف العجر متجذّر بالترانيم الروحية المصحوبة بالقيثارات وغيرها من الآلات. يتم الغناء دائماً في مجموعة، ويتجنبون القيام بذلك فرادى، وهكذا يستمتعون بجوقة سينسّقها مدير غناءيّ. من المتوقع تخصيص حوالي 45 دقيقة للاحتفال الغنائي، بمجرد الوصول إلى المعبد، يتم عقد رباط الزواج أو القران. عادة ما يدعو القسّ "شيخ الكنيسة" لتقديم ما يجب فعله بصوت عالٍ. هذا الأخير، مع رفع يديه إلى السماء، يعبر عن مزيج من الصلاة والالتماس لصالح العروسين. لينتهي هذا الطقس بعبارة "باسم الآب والابن والروح القدس"، وتختتم بجملة نهائية: "آمين" من كل الحاضرين، ثم ومثل طقوس الزواج الكاثوليكية، حيث يتم الوعد بالإخلاص والحب والمساعدة وما إلى ذلك، لتأتي اللحظة التي ينتظرها الجميع: "أعلنكما زوجاً وزوجة". يكسر الحشد حاجز الصمت بالغناء والتصفيق بغزارة. هذا الابتهاج الجماعي مشبّع بالتمنيات الطيبة. فيما يخص طقس العهد بالوفاء وعدم انفصال الزوج عن زوجته. قال لنا غجري من المستوطنة "يجب أن تكون المرأة لزوجها حتى يموت" مما يدل على تقديسهم لرابطة الزواج. (Julian, 2020)

كما ذكرنا سلفاً في مقدمة المقال، حفلات الزفاف لا بد أن تصاحبها الأغاني الفولكلورية ولكن أيضاً ترافقها مأدبة متنوعة حيث يتميز فنّ الطهو الغجريّ بدمج الطعام والألوان. وفقاً للعجر، إذا لم تكن الأطباق ملوّنة بصرياً، فهي طعام payos⁴. إنه مطبخ عالي الجودة، حيث يتم تحديد الكميات والنسب بالتجربة أي بالعين المجردة، الأطعمة الرئيسية في حفلات الزفاف هي الحمص بالزعفران، هي وفيرة في أطباقهم لما لها من لون رائع يسرّ الناظرين، ويتماشى وما تتطلبه أطباقهم، يخلطون ما يكفي من الخضار واللحوم والأسماك. يتكون كتاب وصفات العجر تقريباً من أطباق وفيرة جداً، لذا تعتمد الوجبات على "طبق الملعقة" اخبرتنا مرسيديس وهي غجرية في العقد الخامس من العمر "نحب تناول الطعام بالملعقة، لأنها أكثر ما يريحنا ويشبعنا"، تشرح لنا مرسيديس، "كما نحب أن تصاحب الطبق الرئيسي السلطة. هناك أيضاً أطباق أخرى مثل المقبلات كالأرز بالفاصوليا. المقبلات دائماً تقريباً حساء، المأكولات البحرية والأسماك المقلية". (Vergara, 2020, págs. 5-10)

ومن بين بعض الأطباق الرئيسية التي يتم تحضيرها في أعراس العجر نجد:

ملفوف جيتانا: وهو طبق مصنوع من الحمص والزعفران.

Payos أو Payanos هو الاسم الذي يطلق على مجموعة أمريكية، في القرن الثامن عشر سكنوا الساحل الجنوبي الشرقي لجزيرة تشيلو، في جنوب شيلي. لا ينتمي payos إلى العرق الغجري، في بعض الأحيان لا يفهمون عادات العجر.⁴

طبق تاجارينا، والذي يتكون من مفصل لحم الخنزير المقدد، النقانق، الزبدة الملونة، الكرنب، الكرفس، الفلفل الحلو، الكمون والملح. في حفل الزفاف يتم تقديمه كطبق أولي. كبداية أيضًا يقومون بإضافة المأكولات البحرية كأطباق فاتحة للشهية، مثل: القريدس والمحار، كلها طازجة وتوضع في صواني كبيرة.

الخرق: وهو طبق مصنوع من البطاطس والدقيق وسمك القد المجفف والقريدس. إنه خيار جيد لوضعه كطبق رئيسي في حفل الزفاف الغجري. اليخنة أو عشية عيد الميلاد الغجرية: وهي عبارة عن حساء، يحمل هذا الاسم لأنه الطبق المعتاد في الليلة السابقة لعيد الميلاد، كما هو الحال في كنالونيا وطبق escudella، هذا الطبق خيار جيد، يمكن أن يكون كطبق أولي أو كطبق رئيسي.

الحساء المكونات. دجاج، فطر، جزر، فاصوليا، بصل، زيت وثوم. يضاف البصل وتضاف باقي المكونات الى الصلصة.

من بين الأطباق الرئيسية الأخرى لهذا الاحتفال، لدينا العديد من الأطباق مثل Chachizas de Casuela وغيرها من الأطعمة التقليدية الأخرى. دون أن ننسى القهوة، فهي مهمة جدًا للمجموعة العرقية الغجرية والتي تعني الثقة، كل من يجلس لتناول القهوة يعني أنه محبوب من أفراد العائلة ومرحب به، فهذا يعني الثقة المتبادلة وبادرة من بوادر الترحيب بهم. في النهاية، سيكون هناك دائمًا بعض الكعك الناضج والضخم. والذي كلما كان ملفتا للأنظر وأكبر، كلما كان ذلك أفضل (Iturriaga, 2017).

4. تحقيق أنثروبولوجي اثنوجرافي :

4.1. تحليل النمط الثقافي لزواج الغجر وفقا لقصص حياة نساء الرُوما:

في هذا الفصل سنحاول التعرف عن كتب على الثقافة الغجرية، وخاصة الزواج الغجري وطقوسه الغريبة نوعا ما، خاصة وأن الغجر تعيشوا مع الاسبان لفترة طويلة لكنهم لا يزالون يحافظون على طقوسهم واعتقاداتهم إلى يومنا هذا. سنحاول تسليط الضوء حول رأي نساء الغجر لهاته الأعراف، وهل هن موافقات على القوانين التي يسنها مجلس الشيوخ الغجري، ومنه سنحاول التعرف على مختلف عقليات الغجريات، كل هذا من خلال أخذ قصص حياة بعض الغجريات كعينات اثنوجرافية لنتمكن من تأكيد أو تفنيد ما قيل عن الغجريات أنهن مهمشات ودائما ماكن في خلفية الاحداث والمشاهد، وأنه لا رأي لهن، وأنهن يتزوجن رغما عنهن.

لدعم بحثنا هذا بالحجج اللازمة قمنا باختيار أربع عينات اثنوجرافية، كان لكل منها رأي ونمط تفكير مختلف عن البقية، حيث اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج النوعي انطلاقا من إجراء مقابلات شبه منظمة مع أفراد من سكان الغجر، وقد تم اختيار المخبرين أي العينات من خلال الاتصال المباشر مع ممثلي مؤسسة سكرتاريات الغجر (Secretariado Gitano) في أليكانتي. بمساعدة هذه المنظمة، قمنا بانتقاء المخبرين الذين استوفوا المعايير الرئيسية.

لجمع البيانات، تم إعداد استبيان مكون من 15 سؤال مفتوح ومقسّم على 5 موضوعات مختلفة. على أربع نساء غجريات ينتمين إلى مناطق مختلفة، حيث أُجريت المقابلات في المؤسسة السكرتارية للغجر (Fundación Secretariado Gitano) لمدة يومين على التوالي،

اليوم الأول كان مع سارة وماريًا أما اليوم الثاني فحققنا فيه مع انا وصوفي. كان المخبرون على علم بالغرض من المقابلة وتم التوقيع على تصريح بالاتصال عن بعد عن طريق تطبيق الزوم. كما تمّ تحليل الإجابات وتنظيمها وفقًا لنظام الأسئلة المحدّد مسبقًا.

أول قصّة هي قصة سارة، فتاة عجورية في السابعة والعشرين من العمر، وُلدت وتعيش في سرقسطة، هي الثالثة من بين أربعة أشقاء وتعيش مع والديها وأختها في منزلها في قطاع سرقسطة في أكتور، شقيقها من الذكور متزوجان ويعيشان مع عائلتيهما. وفقًا لها، كانت طفولتها طبيعيّة تمامًا، كانت تذهب إلى المدرسة كل يوم، ولم تكن تتغيّب أبدًا، أردفت مُعلّقة بسخرية (في العائلات العجورية غالبًا ما يتغيّب الأطفال عن المدرسة أو قد يتجاوز الأمر أكثر من ذلك)، في سن الرابعة عشرة، قرّر والدها أن تتخلّى عن دراستها لتبدأ العمل معه في أعمال كيّ المنسوجات العائليّة، حيث يعمل إخوتها أيضًا. والدّة سارة لم تعمل أبدًا خارج المنزل، كما لا تعمل بقيّة النساء في عائلتها، ما عدا في المنزل أو يذهبن إلى السوق .

عندما سألْتُ سارة عن القيم والعادات التي غرستها عائلتها فيها منذ أن كانت صغيرة، أخبرتني حفيدًا أنهم علّموها تقليد العجر، ألا تخرج من المنزل، وألا ترافق الشّباب أو تلعب مع الأولاد، أن تكون حذرة في كلّ ما تفعله حتّى لا تفقد عائلتها مصداقيتها وهيبتها أمام بقيّة العجر، وأهم شيء أنّ عليها الزّواج وهي عذراء. لكنّها ومع ذلك تصرّ على أنّهم في المنزل أكثر ليبرالية وتحبوا نوعا ما من معظم عائلات العجر الأخرى، حيث سمحوا لها أن تمتلك رخصة السيّاقة وأن تمتلك سيّارتها الخاصة، وسمحوا لها بالعمل، والاحتفاظ بأجرها. أهم شيء بالنسبة لعائلة سارة وما نقلوه إليها هو أنّ الشيء الأساسي هو الأسرة وأن المرأة هي شرف الأسرة، لذا يجب أن تتصرّف بشكل جيد، ففي الثقافة العجورية، الأشخاص الذين يكرّمون الأسرة ويُعلنون من شأنها، هنّ النساء، حيث يمارسن طقوس العجر التّقليدية المختلفة، والتي تبلغ ذروتها في حفل الزّفاف العجوريّ وطقوس اختبار المندبل.

علّقت سارة قائلة عندما يكون لديها أطفال، تريد تعليمهم تمامًا كما علّمها أهلها، ستعلّمهم تقاليد العجر، والتي تشير إلى أن تحقيقها مهم جدًا بالنسبة لها ولهم، ولكن بدورها ستمنح بناتها بعض الحرية مثل تلك التي أعطتها لها عائلتها. أردفت قائلة في حالة ما امتلكت بنات وأبناء، فسأمنحهم نفس التّعليم، "إلا أنّ الصّبي عادة ما يُترك لفترة أطول قليلًا، لأنّه ولد وليس بنتًا، فهو رجل المنزل، وشدّدت على أنّ هذا هو ما تفكر فيه وما تنوي فعله، لكنّه سيتعارض مع رأي زوجها المستقبليّ، لأنّ ما يقوله سيتمّ في التّهاية ويجب اتباعه وطاعته. فيما يتعلّق بالعلاقات بين العجر، أكّدت على أنّهم ودودون للغاية ومتساندون فيما بينهم إلا أنّهم أشدّاء في كلّ ما يتعلق بكرامة وشرف العائلة.

حاولنا الاستفسار من سارة عن تجاربها في الحبّ، حتّى أنه تمّ سؤالها، لكنّها تهرّبت من الإجابة لتكشف عن نفسها من خلال هذا الموقف. كنت مهتمّة بشكل خاص بمعرفة رأي سارة حول المرأة العجوريّة، ردّت بأنّ على عاتق المرأة العجورية واجبات يجب أن تفي وتلتزم بها حتّى لا تصيب عائلتها بالعار. قائلة لي أنّ المرأة هي أهمّ عنصر بالنسبة للعجر، لأنّها الشخص الذي يكرّم الأسرة والذي يكرّسها ويوسّع نسلها من خلال إنجاب الأطفال إلى العالم. وهي لا تعتقد أنّ نساء العجر في وضع غير مؤاتٍ أو غير عادل على الأقلّ فيما يتعلّق بالثقافة العجورية، لأن سارة تحترم وتؤمن إيمانًا عميقًا بتقاليد شعبها. أمّا عندما سألناها عن رأيها حول شخصية الرّجل العجوريّ داخل العشيرة،

أجابت بأنها تراها مثالية، على الرغم من أنها تودّ لو يمنحوا حرية أكبر للمرأة، لكنهم لا يستطيعون ذلك لأنهم جميعاً يعانون من الغيرة الشديدة، "يريدون المرأة لهم فقط".

فيما يتعلّق ببعض جوانب ثقافتها مثل عدم المساواة بين الجنسين، تقول إنها ترى ذلك أمراً طبيعياً لأنها نشأت على هذه الشاكلة، لكنّها تدرك أنّ غير الغجر لا يفهمونها لأنهم متعلّمون بطريقة مختلفة، وهذا الاختلاف يبدو اليوم أكثر وضوحاً فيما يتعلق بتحرّر النساء. ووفقاً لما أخبرني به، فإن حلمها وحلم جميع النساء الغجريات تقريباً هو الزواج، "أخرجني منديلك، ارتدي فستانك الأبيض، ارتدي ثيابك، تيجانك، يرفعونك" ... إنه أكبر وهم غجريّ، نحن نرى ذلك رائعاً للغاية. أمّا عن موضوع المنديل المثير للجدل والزواج وهي عذراء، فهي موافقة تماماً ومؤمنة جداً بهذا التقليد، حيث أنّها لا تعتبره تقليداً من شأنها أو نوعاً من التخلّف، هي ترى ذلك أمراً عادياً وجب على كل النساء التّقيّد به.

العينة الثانية هي ماريّا، غجرية كاتالونية تبلغ من العمر 55 عاماً وتعيش في بلدة في ضواحي برشلونة، أرملة منذ ما يقرب ثلاث سنوات. لديها 4 أبناء و6 أحفاد تزوّجت في سنّ التاسعة عشرة من ابن عمّها ولديها معه ثلاثة أبناء وبنّت. كان والدها في البداية تاجر ماشية، وكانوا في ذلك الوقت عائلة ثريّة. روت لنا بأنّها ذهبت إلى المدرسة، لكنها لم تكن من أولوياتها. أخبرني أنّها كانت تساعد والدها في الأعمال المنزلية، وفي رعاية إخوتها الصّغار. عندما سألت ماريّا عن القيم التي نقلتها لها عائلتها، سردت لنا القيم الغجرية الرئيسيّة. وهي احترام كبار السنّ، ورعاية المسنّين، وأهمية العذرية عند المرأة، والزواج إلى الأبد، واحترام قانون الغجر بشكل عام.

قالت بأنّ زوجها هو علاقة حبّها الوحيدة. لقد تعرّفنا على بعضهما البعض منذ أن كانا صغيرين، لأن والديهما كانا أبناء العمّ، ووفقاً لماريّا لم يضع والدها أي عائق أمامهما، بل على العكس تماماً أيّدا علاقتهما، لكن وفق ما تنصّ عليه التقاليد الغجرية. وبخصوص اختبار المنديل، قالت إنه عندما كانوا بصدد القيام بذلك، كانت تشعر بالعصبية والخوف والانفعال. كانت في غرفة مع والدها وخالاتها وحماقاتها وأقاربها والأجنتورا، كانت مستلقية على الأرض، تحتها وسادة وعيناها مغمضتان. عندما انتهوا بدأوا جميعاً في البكاء والصّراخ مما يدل على اجتيازها للاختبار. لقد كُرمّت من جميع أفراد الأسرة. بمجرد زواجهما، ذهبا للعيش في منزل أقاربها، حيث يعيش جزء كبير من الأسرة معاً. استمرّت ماريّا في كونها ربّة منزل تهتمّ بأطفالها. بالنسبة لماريّا "المرأة الغجرية هي ملكة المنزل"، فعندما تكون فتاة، فإن كلّ الاهتمام والرعاية ينصبّان نحوها. فالفتاة الغجرية هي التي تُكرّم الأسرة وتعتمد هيبتهم عليها إلى حد كبير، على سلوكها وتصرفها، فالمرأة الغجرية هي التي تقوم بتربية وتعليم أولئك الذين سيكونون "عجر الغد" و "عندما تصبح غجرية عجوز فإنّها تصبح رمزا للاحترام". يمكننا القول إن النساء الغجريات لا يستمتعن بالأماكن العامة، بل إن الغالبية يمكنن في المساحة الخاصة والحميميّة في منزلهنّ. الرّجل الغجريّ بالنسبة لماريّا "هو الذي. يجب أن يُطيع ويحترم قانون الغجر". من خلال هذا التّعليق، يتّضح الطّابع الأبويّ والذكوري الذي عاشت فيه والذي قامت هي نفسها بتعليم أبنائها له، بسبب ثقافتها وقناعاتها الخاصة.

كما أخبرني، أنّه بالنسبة للغجريات، فإن الزوج المثالي لأطفالهم هو الغجري الذي ينحدر من "عائلة جيدة"، أي شخص مسؤول وواعٍ ومتّحدٍ مع الغجر، والذي يتمّ تكريمه. في العديد من المناسبات، لكن ينتهي الأمر بهم في معظم الاحيان الى الرّواج من أحد الأقارب.

بالإضافة إلى ذلك، يميل العديد من العجر إلى الزواج عندما يكونون صغارًا، ويفعلون ذلك مع أشخاص من بيئتهم. لهذا السبب، يتزوج العديد من العجر بين أبناء العم أو الأقارب. كما علّقت قائلة العذريّة هي نقطة أساسيّة في طقوس العجر التقليدية. "إنّ العذريّة حتى الزواج شيء جميل جدًا، فهي ثميّة، على الأقل بالنسبة للرجل، لأنك عندما تتزوجينه وتحبينه، وتحبين نفسك له ويرى أنك كنت محافظة على نفسك لأجله، فهذا شيء رائع بالنسبة لنا ولعائلاتنا". لا تُقيم نساء العجر عادة علاقات مع الرجال قبل أن تتزوج لأنه يتعين علينا المحافظة على شرف الأسرة، لذلك نحترم نحن النساء هذا التقليد.

بعد خسارة ماريًا والدها وزوجها، كان عليها كأرملة أن تُعيد التفكير في أسلوب حياتها. الآن هي التي تحمل ثقل الأسرة على عاتقها. منذ وفاة زوجها، تباينت حالتها، حيث ازدادت استقلاليتها وقدرتها على اتخاذ القرارات. أمّا عن سؤالي عما إذا كانت قد شعرت بالتمييز ضدها لكونها عجربة، فقد أخبرتني أنها لم تشعر بالسوء في أي وقت، لأن الأشخاص الذين تحتك بهم، سواء في العمل أو السكن، جميعهم من العجر. أخيرًا، كشفت ماريًا عن رأيها قائلة "على العجر أن يذهبوا إلى المدرسة وأن تكون لديهم المزيد من الثقافة لإظهار قيمتنا أمام الشعوب وأننا أناس بثقافة مختلفة ولكنها جيدة أيضًا".

كانت الحالة الثالثة هي آنا، فتاة عجربة تبلغ من العمر 23 عامًا، ولدت في بلدة أراغوانية، وهي طالبة جامعية وتعمل كمعلمة في جمعيّة عجربة في سرقسطة. في سن الثالثة عشرة، انفصل والداها، بسبب إدمان والدها على الكحول. نواة عائلتها متعددة الثقافات، حيث أنّ والدها عجريّ ووالدها من البايا (payo)، وهي حقيقة أدت إلى تمتّعها ببعض الحرية مقارنة بغالبية الفتيات العجريات في سنّها. على الرغم من احترام عائلتها للقيم والتقاليد العجربة تمكنت من الدراسة والعمل وأن تكون امرأة مستقلة ومكتفية ذاتيا.

فيما يتعلق بالقيم العجربة التقليدية التي تم نقلها إليها، تؤكد آنا "لم أتلقي مثل هذا التعليم الصارم". وقد يعود ذلك لوالدها فهي من البايا، والتي تعتبرها آنا نقطة إيجابية للغاية. منظور آنا المستقبلي هو تكوين أسرة. لكن تجدر الإشارة إلى أنه على عكس العديد من النساء العجريات، فإنّ هذا ليس هدفها الوحيد، بل يمكننا القول أنّه واحد من بين الواجبات التي عليها القيام بها. وهكذا، عندما يصبح لديها أطفال، تقول إنها ستعلمهم "القيم الإنسانية قبل كل شيء، وبالنسبة للبقية لا أعرف. لن أفرض أو أحظر أي شيء". كما قالت بأنّها لن تفرّق بين بناتها وأبنائها. على سبيل المثال، فيما يتعلق بموضوع المندبل المثير للجدل، تقول أنّها لن تفرضه على بناتها إطلاقاً، وقالت أنّها في زفافها لن تقوم بهذا التقليد، لأن قيمة العذرية لا تقتصر على الاختبار المذكور.

الأغلبية لديهم تحيّر أو صورة نمطيّة في التفكير، ويؤكدون على أنّ العجر يهتمون تعليم أبنائهم ولا يعطونه أهمية. في هذا الصدد، تقول آنا بسخرية "في حالي صدقت الأسطورة أو المقولة، فأنا لم أكن أذهب إلى المدرسة يومي الأربعاء والخميس، وكنت أذهب إلى السوق، لكنني كنت متفوقة جدًا، في فترة ما بعد الظهر، كنت أهبّ إلى منزل المعلم ليعطيني واجبات منزلية، كنت أبلي بلاءً حسنًا في المدرسة، لأنني في الحقيقة أحببتها، وأيضًا في المنزل وعظوني وشجّعوني على الدراسة"، واصلت قائلة "وعلى الرغم من المشاكل الأسرية والصعوبات المالية، ذهبت إلى الجامعة، بدعم من عائلتي المقربة (الأم والأب)، لكن البقية لم يروه شيئًا جيدًا أن تنتقل شابّة عجربة بمفردها إلى مدينه أخرى و تصبح مستقلة"، وفقا لها، كانت الخطوة التي اتخذتها صعبة للغاية فمجتمع العجر رفض ذلك بشدة.

لم تعيش أنا أبداً تقليد الغجر التقي على حسب تعبيرهم، فقد كانت في علاقة عاطفية مع صبيّ لعدة سنوات، قالت "على الرغم من أنني أشترك في عادات معينة معهم، لأن جزءاً من أسلافي هم أيضاً من الغجر إلا أنه كان لديّ العديد من الأصدقاء المميزين، لكن لأنني لا أتوافق جيداً مع الأولاد، فقد كان خوان الوحيد الجاد والرسمي." تدّعي أنّها على عكس الغجريات الأخريات، لم تكتم أبداً علاقاتها. فعلاقتها بخوان كانت مبنية على الحب والاحترام، قالت "نعم، تسترنا بعض الشيء في البداية وذلك لأتعرّف عليه قبل اتخاذ خطوة الزواج.. في الوقت الذي بدأنا فيه بشكل أو بآخر كزوجين ، حاولنا إبقاء ذلك على الهامش ، لذلك قضينا حوالي ثلاثة أشهر متزوجين سرا بدون علم العشيرة لكن الاهل كانوا على دراية تامة بزواجنا"، قالت أنه لم يكن هناك طلب رسمي للحصول على اليد أو أي شيء من هذا القبيل ، ولم يكن هناك طقوس أو أيّ تقليد بسبب الوضع العائلي الذي كان موجوداً بانفصال والديّ ، لأن الاحتفال بالطقوس يعني إمّا ترك والدي على الهامش أو ترك والدي على الهامش وعائلته، وقد قرّرت أن أقوم بالطقوس التي أراها تتماشى و مبادئ ، لا أن أكون في موقف تتبّع الرعيّة .

كانت حقيقة عدم تقديم طلب اليد، أو إقامة حفل زفاف، عاملاً آخر في عدم رضا عائلة الأب عني، "هناك أوقات تأتي فيها الأشياء رغماً عنا فعليهم أن يفهموا ذلك وأن يضعوا أنفسهم في مكاني، لكنهم لا يفكرون في ذلك." بالنسبة لها إنّ رؤية المرأة الغجرية التقليدية والدور الذي كانت تلعبه حتّى الآن أخذ في الانقراض، بسبب عوامل عدة مثل الحاجة الحقيقية لإدماج المرأة في عالم العمل والتي اعتبرها أساسية وإن كانت صعبة. علّقت "دور المرأة الغجرية التقليدية لم يعد من الممكن التفكير فيه." لذلك تعتقد أنّ دور الرجل الغجري قد ولى. وبالنسبة لها، يجب أن يكون التعليم هو نفسه بالنسبة للفتيات والفتيان، دون إدخال المحرّمات أو الصّور النمطية، على الرّغم من أنّها تأخذ بعين الاعتبار أنّ كلا الجنسين بطبيعته له أدوار مختلفة. كما قالت أنّ هناك العديد من الصّور النمطية عن ثقافة الغجر. "فأود أن أدافع عن موقف لثقافة مختلفة كثيراً عن تلك التي تم اتباعها تقليدياً. سأدافع عن المساواة بين الجنسين دون الحاجة إلى أن يتخلّى الجميع عن أدوارهم، أودّ أيضاً أن أدافع عن الصّيانة والتعامل مع كل شيء".

بالنسبة ل أنا، على سبيل المثال، فإنّ حقيقة أنّ الغالبية العظمى من السّكان الغجر لا يواصلون تعليمهم الأكاديمي هو بسبب عدم وجود تطّعات لديهم، وليس من أهدافهم مواكبة التّطوّرات، ولا يقلقون بشأن المستقبل البعيد ولا حتّى بشأن المستقبل القريب. فيما يتعلق بالصورة النمطية القائلة بأن الغجر لا يعملون ويكسبون عيشهم من خلال المساعدات والمعاشات، تعتقد أنّا أن هذا البيان صحيح من النّاحية العمليّة بالنسبة للأغلبية، وتنتقد عدم تعزيز وتوضيح أمثلة الغجر الذين يعملون ويكدّون. في العديد من المناسبات، شعرت أنّها ليست في جانب النّقد ولا حتّى في الجانب الآخر للدفاع، لأنّها بالنسبة للمجتمع هي غجرية، فهي مختلفة، وكما نعلم بالفعل، يُظهر هذا المجتمع بعض اللامبالاة تجاه هذه المجموعة العرقية.

أما بالنسبة للطقوس الغجرية، فترى أنّ الحفاظ عليها أمر بالغ الأهمية، لأنّها جزء من كل ثقافة وتعطي هويّة لها. على الرّغم من أنّها تقدر كل هذه التقاليد تقديراً عالياً، إلا أنّها تعتقد أنّ تنفيذها بحذافيرها أو كما هو متعارف عليه سيكون مشروعاً سيئاً، ولا يمكنها فعل ذلك، على الرغم من أنّها ستجعلها بالتأكيد متحمسة للغاية باعتبارها غجرية. "الشيء المتعلق بالمنديل أكثر تعقيداً بعض الشيء. أو أعتقد أن

موضوع المنديل ... بالنسبة لي ليس ضرورياً، كعجربة عليك أن تثبي العذرية لزوجك وعائلتك على أي حال، ولكن بالنسبة لي إنه من عدم الاحترام أن يضع زوجي مسألة المنديل في المقام الأول". واصلت قائلة "بالنسبة لي، فإن العذرية مهمة جداً، لكنني أعتقد أنه بالنسبة لبقية المجتمع، فهي تحظى ببناء كبير ودفاع اجتماعي أكبر من حجمه" اكدت على أنها ستحافظ على هذا التقليد بل وتعززه، لكن ليس على سبيل حصره في اختبار المنديل. بناءً على هذه القضية المثيرة للجدل، فإن ما تعتقده آنا هو أنّ غالبية الشابات العجريات اللائي يتزوجن اليوم ويقمن بإجراء اختبار المنديل، لا يفعلن ذلك بسبب ما قد تمثله العذرية بالنسبة لهنّ، ولكن فقط لإثبات حقيقة الامر لأسرهم وعائلات أزواجهن المستقبليين ولتفادي الخلافات التي قد تنشأ.

تعلق آنا بأنها لم تتعرض أبداً لأي تمييز، على العكس من ذلك، فهي تعتقد أنّ قولها بأنها عجربة يفتح لها الأبواب، لأن الناس يحبون التعرف على ثقافات أخرى. صرّحت قائلة "إذا واجهت تمييزاً بصفتك عجربة امرأة، فقد يحدث ذلك في بعض الأحيان، داخل شعب الغجر خصوصاً إن كنت قد خرجت وحدث عن عاداتهم وتقاليدهم.

صوفي كانت هي عينتنا الرابعة والأخيرة، لن نعطي معلومات شخصية كثيرة عنها، وقوفاً عند طلبها. هي فتاة عجربة في العقد الثالث من العمر، من خلال مقابلتنا لها، حكّت لنا كيف أخرجت من المدرسة في سن العاشرة وذلك لتتولّى مهام المنزل والعناية بأشقائها، واصلت قائلة "لا يتسنى لنا أن نصبح طبيبات أو معلّّات أو أي شيء من هذا القبيل"

حسب قولها فإن أهلها كانوا يحضرونها لتكون مستعدة للزواج، قالت صوفي "كنت ضد الفكرة فقد أحببت الدراسة، وودت أن أنجح وأعمل لكيّ لم اقوى على المعارضة، ففي مجتمعنا المرأة مواطنة من الدرجة الثانية، وعندما يتعلق الأمر بوجهات نظرهنّ، فإنهنّ لا يُصنّفن حتى، ولا يحقّ للمرأة ان تنثور وتتمرد ضدّ العشيرة، بل يليق بها دور الخضوع، فقط كم تمنيت في تلك اللحظة ألا أكون عجربة" هكذا علقت صوفي بحرقه.

تمنع أخلاقيات العجر الصّارمة الفتاة من التودّد للرجال أو مغازلتهم، باعتباره أمراً مشيناً، رغم أنّهم يشاركون الذكور في الرقص أحياناً. في هذا الصّدد، سألنا صوفي عمّا إذا كانت لها علاقات مع الشّباب، في الحقيقة هي لم تتهرّب من الإجابة، فقالت نعم، كنت صغيرة وطائشة نوعاً ما، وكان بالنسبة لي كل ممنوع مرغوب، أو ربّما بسبب التّشدد الأبويّ والضّغط الذي عشته، فقد كانت لي علاقات سرّيّة عديدة، أردفت قائلة "أنا لم ألتزم أبداً بالغرب العجريّ، فقد كان صارماً ضدّ النساء فقط، أمّا الذكور فكل شيء مباح لهم، حسناً، لقد وصل بي الامر إلى أن فقدت عذريّتي، وكما تعلمون نساء المرأة هو أهمّ شيء عند العجر، حسناً بالنسبة لي لم يكن الأمر كذلك، لم أهتم يوماً لهذا الهراء، فالعذرية لا يمكن حصرها في نقاط دم ومنديل، وأؤكد لكم أنّ هذا هو تفكير غالبية العجريات، إلّا أنّهم يحشون الحميّة القبليّة، وغير ذلك، فهنّ ملتزمات عن غير قناعة .

عندما سألت صوفي عن الزّواج قالت أنّه لم يكن ضمن أحلامها، أو على الأقلّ ألا يكون من عجري، "فالزواج من عجريّ يعني أن أعيش على الهامش لبقية حياتي، لذا فضّلت الهرب، نعم هربت من مسقط رأسي، لأنّ والدي كان بصدد تزويجي، وكما قلت أنا لم أكن عذراء،

ولم أود أن أتخيل كيف ستكون ردة فعلهم عندما يعلمون. لقد كانت أصعب خطوة أقدمتُ عليها، لكنّي تحرّرت، الآن أنا أعمل وأتسوَّق وأقود السيارة، أنا أتمتع بحقوق كإنسان".

في الحقيقة لم يبدووا على صوفي الندم، وقد أقرّت بذلك، "لست نادمة أبداً، بل ندمت لأنني لم أهرب مبكراً. شيء واحد يحزّ في نفسي، وهو فستان الزّفاف، فالفساتين العجريّة معروفة بزينتها وتألّقها، كم أحببت أن أرّديه، لكن ليس طبقاً لتقاليد الغجر". طبعاً عندما سألتها عن مفهومها للحرية قالت "هو ما أعيشه اليوم لم أكن حرّة في السابق لكن أنا هكذا اليوم".

فيما يخصّ وجهة نظرها حول الثقافة العجريّة لم تردّ لا المعارضة ولا التأييد، اكتفت بالقول إنه نمط حياة فيه من الإيجاب كما فيه من السلب، لكن أنا لم أستطع التأقلم وغيري فعلن، وفوق كل شيء أنا عجريّة، من غير اللائق أن أتحدّث بالسوء عن أبناء جلدتي".

5. خاتمة:

لطالما كان يُنظر لثقافة الغجر بطريقة مختلفة تماماً. فالثقافة العجريّة تقوم على عنصر الدهشة والتقليد الأزليّ والتمايز، وهذا للتمايز الكبير بينها وبين ثقافة الـ paya وهذا على الأقل بالنسبة لسكان الأرض الأصليين، ولكن في نفس الوقت هناك بعض أوجه التشابه نظراً للتعايش الذي حصل بينهما والذي أدّى إلى احتقان الثقافتين. تتعايش ثقافة الغجر اليوم مع الثقافة الأسبانية بطريقة لا لبس ولا تعصّب فيها، على عكس ما مضى.

هناك جانب أساسي آخر في الثقافة العجريّة يحددها ويمنحها هويّتها، وهو الشرف، والذي يتمّ الحفاظ عليه من خلال القيام بأفعال وأنماط سلوكيّة مختلفة، ولكن بشكل أساسي والأهم، كما أوضحنا بتعمّق أكبر، يكون من خلال الزّواج، إنّ معرفة شكل الزّفاف العجري وما ينطوي عليه من حيثيات وما يعنيه بالنسبة للمرأة العجريّة، ساعدنا في معرفة حالتها ودورها داخل مجتمعها ونمط حياتها. تعتبر العلاقات بين الجنسين أساسيّة في مجتمع الغجر، وهي مرتبطة بتقاليده وقيمه وممارساته. الزّواج شيء تطمح إليه جميع نساء الغجر تقريباً (معدل العزوبة لدى الشّعب العجريّ منخفض جداً). كما رأينا في أقوال العيّنات الإثنوجرافية، ومن خلال قصص حياتهم، تزوجت ماريا في سن صغيرة، وتخطّط سارة للزواج وتكوين أسرة، على الرغم من أنّ كل منهما لديها تصوّر مختلف، ولكن في هذا المعنى كلاهما تقليديّ. لا يتمّ تصوّر حقيقة إنجاب الأطفال خارج إطار الزواج، والذي يحدث في معظم الحالات مع الزوجين من نفس المجموعة العرقية في سنّ مبكرة في المتوسط إذا ما قورنت بزيجات الغرب اليوم، خصوصاً الأسبان باعتبارهم الثقافة المضيفة لهم. على سبيل المثال، حالة سارة غير نمطية تماماً بين الغجر، في الواقع، تبدو قديمة. إنّها بحاجة إلى الزّواج في أسرع وقت ممكن، فحسب عُرفهم، يجب أن تتزوج قبل سنّ العشرين. دون أن ننسى أعظم شيء عند الغجر ألا وهو العذرية، فالعذرية مشروطة بالزّواج، لكن عذريّة الأُنثى فقط، وهو ما يجب الحفاظ عليه أو بمعنى آخر السيطرة عليه.

من خلال تحقيقات قصص الحياة، قابلنا أربع نساء مختلفات تماماً، بأهداف وهوايات وتفكير ومشاعر متباينة، أظهر أسلوب حياتهنّ وتفكيرهنّ وطريقتهنّ في التّعايش داخل "الوجود العجري" أنّ الأسرة هي منبع التّحول، وهي النّقطة الأساسيّة لفهم طريقة وجود وتصرف كلّ واحدة من النّساء الأربع. بالنسبة للغجر، فإن تكوين أسرة هو مزيج من الرّغبة والهدف والالتزام الذي يفرضه المجتمع الأبوي. على

الرغم من أنّ العجربة لا تتفق مع عائلتها فيما يخص بعض الأعراف، وقد تعيش أحيانا حياة أكثر استقلالية من بقية العجريات، إلا أنّها تحافظ دائماً على احترام عائلتها أمام العشيرة، وذلك من خلال المحافظة على عقّتها ونقائها.

الثقافة العجربة التقليدية راسخة للغاية، خصوصا بين أفراد مجموعتهم العرقية، لكن أحيانا تظهر شيئا فشيئا أصواتاً متمردة ثائرة، خاصة من النساء، اللواتي يرفعن التحدي ويجدّدن أفكاراً وطرقاً معينة لفهم ثقافتهن كما رأينا مثلاً في حالة صوفي. الجنس هو بناء تاريخي وثقافي، وفي الثقافة العجربة يكون نظام النوع راسخاً إلى حدّ كبير بالطريقة التقليدية الممكنة، وتُنسب إلى الرجال أدوار السلطة وصنع القرار والقيادة، وإلى النساء، دور العشيق، وراعية المنزل، ويتم تهميشها وتركها في الخلفيّة، حيث تم تمييز أدوار الذكور والإناث من منظور تقليدي للغاية، فالذكر هو الشخص الذي دائماً ما يتولّى زمام الأمور. ومصدر الدّخل الأوحّد في وحدة الأسرة، والمسؤول عن اتخاذ القرارات، بينما كرّست المرأة نفسها فقط لرعاية الأسرة، ولم يكن لها صوت أو صدى اجتماعي مسموع. في اعتقادهم العلاقات الاجتماعية الرئيسية في ثقافة العجر تقوم بها النساء، باعتبارهنّ العنصر الأساسي في التطور الإيجابي لهذه المجموعة الذي قد يحافظ على وحدتها أو يهدمها، أقصد بالإيجابي هنا، المحافظة على شرف الأسرة والقبيلة ككلّ. الحرية هي إحدى القيم التي تحكمهم، ولكن في هذه الحالة، الحرية مفهومة عند للشعب العجري بشكل عام. إنهم يريدون أن يشعروا بالحرية كشرط طبيعي للإنسان، لذا يمكننا أن نقول أنّهم يعيشون في تناقض رهيب، فإن كانت الحرية شرطاً وحقاً إنسانياً كما يزعمون، فما يفسرون السيطرة المفروضة على غالبية نساءهم، والتي تصل في معظم الحالات إلى مستوى الخضوع والخنوع والخدمة والطاعة.

المجتمع الأبوي المتطرف الذي تعيش فيه الثقافة العجربة مترسّخ لدرجة أنّه في بعض الأحيان لا يُسمح لنا برؤية ما وراء ذلك. نحن نعيش في مجتمع تعدّدي، يكون فيه الشيء الإيجابي هو استيعاب خير كل ثقافة ومحاولة التحسين من أجل الوصول إلى مجتمع قائم على المساواة من حيث الجنس أو المعتقدات أو العرق. التغيير في العجر بطيء جداً لأنّ الرجل العجري في وضع مريح ومناسب، إنّهُ يشعر بالرضا أينما كان، إنه فخور بما هو عليه، وبدوره في السلطة. بسبب هذا الموقف من السلطة الممنوح للرجال، تكون النساء في الخلفيّة، على مستوى متحقّظ، لذلك نادراً ما تُسمع أصواتهنّ، ولكن عندما ينتفضن، يجب دعمهن ومواصلة تعزيز أمثلة نساء العجر الرياديّات. أمّا فيما يخصّ مسألة التمييز المزدوج الذي تعاني منه النساء العجريات، حسب الجنس والعرق، لا يُنظر إليه بهذه الطريقة من قبلهنّ، لأنّه بصفتهم من العجر، لا يشعرون به بعمق، لأنهنّ يملن إلى التّواصل فقط مع أفراد طائفة العجر باستثناء حالات نادرة.

ما خلصنا إليه أبضاً من خلال تحليلنا هو أنّ عادات الزفاف العجربة هي ظاهرة عرقية ملوّنة تعود إلى تقاليد المجتمع الأبوي الكلاسيكي وهو أمر غير معتاد بالنسبة للأسلاف المعاصرين، ورغم ما مرّت به هذه الثقافة من اضطهاد وتمييز إلا أنّها تعتبر إحدى الثقافات التي لا تزال حتى اليوم تحافظ على جزء كبير من جذورها وعاداتها وتقاليدها رغم اختلاطها بالثقافات الأخرى، فتاريخ العجر كان تاريخ بقاء وتكيّف.

من خلال هذا العمل الأنثروبولوجي الإثنوجرافي، توصلنا أيضاً إلى أنّ للغجر ذوقاً غريباً جداً في الطهي، وقريب جداً من فنّ الطهي الأندلسي، الذي يعتمد على أطباق الملعقة، مثل اليخنات حيث يبرز الزعفران والحمص، وهو طبق يميز ساكنة الجنوب إلى يومنا هذا. إلى جانب ذلك من خلال تنوع أطباقهم في احتفالاتهم اتضح لنا بأنّ الغجر في الغالب يأكلون جيّداً ويأكلون بوفرة.

6. قائمة المراجع :

- Antonio, D. O. (1974). *Documentos sobre los gitanos españoles en el siglo XVII*. Madrid: Homenaje a Julio Caro Baroja.
- Atenea. (09 de 12 de 2021). *Las bodas originales*. Bodas gitanas, ¿como son y cuales son las tradiciones ?Retrieved from:: <https://lasbodasoriginales.com/bodas-gitanas/>
- Auzias, C. (2011). *Gitanas: Hablan las mujeres <<Roms>> de Europa*. Logroño: Pepitas de calabaza.
- Dios, R. H.-J. (2005). *Matrimonio y boda de los gitanos y payos*. Madrid: CPEDA.
- Dorm, L. (1993). *Los gitanos de España. El precio y el volar de la diferencia*. España : Gedisa.
- Evaluación de la Normalización Educativa*. (2002). Fsgg.
- Fonesca, I. (2009). *Enterradme de pie: el camino de los gitanos*. Barcelona: Anagrama.
- Gamella, J. F. (2007). *La inmigración ignorada: Romá / gitanos de Europa oriental en España*. España: Gazeta de Antropología,.
- Garcia. (2006). *La Familia en la comunidad gitana*. Navarra: Universidad de Navarra.
- Grande, F. (1993). *Los gitanos: Una mirada sobre nuestra memoria. los gitanos en la historia y la cultura*. Granada: Universidad de Granada. Retrieved from:<https://nueva-aecgit.pangea.org/downloads/documentos/59/los-gitanos-una-mirada-sobre-nuestra-memoria.pdf>
- Hancock, I. (2002). *We are the Romani people*. Paris: Univ of Hertfordshire Press.
- Iturriaga, M. L. (30 de 3 de 2017). *El comidista* .Las delicias de la cocina gitana :Retrieved from:https://elcomidista.elpais.com/elcomidista/2017/03/22/articulo/1490185143_913607.html
- Jan, Y. (2009). *Los gitanos*. Barcelona: Bellaterra.
- Julian. (18 de 09 de 2020). *Don Comos*. Obtenido de Cómo es una boda gitana: <https://fiesta.doncomos.com/boda-gitana>

- Leblon, B. (2017). *El gran fichero de los gitanos en España (siglos XV a XVII)*. España : Asociación de enseñantes con gitanos.
- lopez, M. (1967). *El documento más antiguo relativo a la inmigración gitana en España*. España : Pomezia.
- Malinowski, B. (1996). *Crimen y costumbre en la sociedad salvaje*. Barcelona: Ariel.
- Maria Helena, S. O. (13 de 02 de 2009). La minoría gitana en el siglo XVII: Represión, discriminación legal e intentos de asentamiento e integración. *Anales de historia contemporanea* (ISSN: 0212-65-59), 75-90.
- Mensses, L. d. (1972). *¿Gitanos en España en 1415*. España: Pomezla.
- Mola, C. (2006). *La novia gitana*. España : Negra Alfagrua.
- Montoya, J. M. (1987). . *Investigación sociológica, antropológica y demográfica sobre la Comunidad Gitana en España*. S-N.
- Nuevo, j. L. (2005). Flamenco y revolución. *Revista de estudios sociales y humanidades*, II(33), 93-106.
- Observatorio. (2003). *Empleo y Comunidad Gitana*. Fsgg.
- Pass, G. (1991). *Mapa de la vivienda gitana en*. . Asgg.
- Proletier, V. d. (1974). *Mil años de (listona de los gitanos)*. Barcelona: Plaza y Janes.
- Ramírez Heredia, J. d. (2005). *Matrimonio y boda de los gitanos y de los «payos»*. Barcelona : Cpda.
- Román, T. S. (1994). *La diferència inquietant: Velles i noves estratègies culturals dels gitanos*. Barcelona: Alta Fulla.
- Valles, M. (2014). *La comunidad roma en Europa y un estudio antropológico jurídico-cultural sobre los*. España: Cidob.
- Vergara, Y. B. (23 de 03 de 2020). *Dspace*. Alimentos, recetas y técnicas de la gastronomía gitana Retrieved from: [https://rua.ua.es/dspace/bitstream/10045/39642/1/Las tecnicas populares de produccion y transformacion.pdf](https://rua.ua.es/dspace/bitstream/10045/39642/1/Las_tecnicas_populares_de_produccion_y_transformacion.pdf)